الفصل السادس

المرأة في الخمسين

ان المرأة عندما تدخل سن الخمسين هي واحـــدة من اثنتين : امرأة تبكي شبابها وصبوتها وعذوبتهـــا ، وامرأة تبتهج لخلاصها من هموم الحبـل والولادة ، وما يرافق هذين الحدثين من متاعب وتضحيات واخطـار . وفي كلا الحالين انها لمرحلة حاسمة هذه المرحلة التي تكون احياناً شديـــدة الاثر في المرأة وفي صحتها وحالتهـــا العصبية والنفسية والعقلية ، حتى سميت « مرحلة اليأس » ، وذلك لما ينتاب المرأة خلالها من حالات مؤثرة ، واحياناً منهكة .

و « مرحلة اليأس » هـــذه هي التي تنتج عن انقطاع الطمث . فالمبيض عندما يفقد مقدرته عـلى العمل ، يضمر ولا يعود قادراً على عملية التبويض ، وبالتالي يفقد قوتـه التناسلية . ولو كان ذلك فقط ، لما كانت المصيبة ، ولا كانت هذه التسمية ، لان كثيرات من النساء ينتظرن بفارغ

الصبر الوقت الذي يرتحن فيه من وسواس الحبل والولادة . ولكن هناك ما هو اكثر اهمية ، وهو ان توقّف عمل المبيض وضموره ، يرافقه توقف الافراز الداخلي . وبفقدان هذا الافراز يتأثر الجسم بمجموعه ، لا سيما الجهاز العصبي .

وقد يتخلّل هذه المرحلة اعراض وحالات مَرضيّة مزعجة تفرض اهتمام المرأة والطبيب معاً .

اما هذه الاعراض فمنها ما ينسب لفقدان « الهرمون » الغددي وحرمان الجسم من مادة حيوية ، فيختل اذ ذاك التوازن في الاعصاب السمبثاوية وبالتالي الاوعية المحرّكة فتشعر المرأة تارة بهبّات حارة ، وطوراً بتشنّات باردة ، وبنوبات عرق يتصبب منها ، وبضيق في التنفس ، وخفقان في القلب ، ودوار ، وصرع ، وارتفاع في الضغط الشرياني الخ . اعراض مزعجة حقاً تترك المصابة بها فريسة للآلام والارتباكات. وقد تقعدها عن العمل فتزيد حالتها بؤساً.

وقد تكثر هذه الاعراض او تقل بالنسبة لحالة المرأة ومزاجها وعمرها . فالمرأة التي تداهمها هذه المرحلة « المينوبوز » قبل اوانها ، اما لحالات مرَضيّة او نتيجة اجراء عملية استئصال الرحم والمبيض ، تشعر بهذه الاعراض اكثر كثيراً من تلك التي تصاب بها بعد ان تكون قطعت سن

الخمسين ، وبعد ان تكون ولدت عدة اولاد وتعبت من حياة الانوثة . الاولى تبقى مدة طويلة قد تطول سنوات عدة فريسة الصدمة المزعجة . والثانية قد لا تشعر بها او يكون شعورها خفيفاً تتحمله بدون انزعاج .

ومن الاعراض ما ينسب للتأثير النفسي والعقلي الذي يلحق بالمرأة من فقدانها معالم الانوثة . « فالمينوبوز » في المرأة هو بدء مرحلة الذبول . لقد ودعت ربيع الحياة ، فلم تعد هي قبلة انظار المعجبين . لقد ظهرت في وجهها تجاعيد توبخها كلما انكرت او حاولت انكار حقيقة عمرها . وكلما حاربت المرأة هذه المرحلة بالطلاء والمساحيق زادت هذه في كهولتها ، وفي تبدل ربيعها الزاهر بخريف قاحل . ومما لا شك فيه ان الاعراض الآنفة الذكر كبيرة الاثر في النساء اللواتي قضين حياتهن محرومات المعيشة الجنسية . فالجوع الجنسي سبب طبيعي في المرأة — كما هو في الرجل — لاختلال القوى النفسية . وفي شرقنا هذا ، بقسوته على المرأة ، وباستبداده بحركاتها وتصرفاتها ، وفي مجتمعنا الذي ينكر عليها حقوقها الطبيعية فيجعلها اسيرة العادات والتقاليد والتعاليم الدينية والمذهبية ، هذا المجتمع الذي يجيز للرجل الحرية الكاملة المتطرفة ، ويقيد المرأة

بقيود هي من اشتراع الرجل نفسه ويستبيح كبح جماح العوامل الطبيعية فيها ، في هذا المجتمع الظالم اجحاف وارهاق لن تتحمله المرأة ولو سكتت عنه مكرهة . اذاً هو المجتمع مسؤول عن الاختلالات النفسية والعقلية التي تنتاب المرأة هذه ، فيرزحها تحت اثقال الانفعالات الكامنة في نفسها ، فتفقد التوازن ، وتختل قواها العقلية ، وطالما كانت هذه سبباً لاصابتها « بالملانخوليا » و « النورستينيا » و « الهستيريا » وجميع انواع الجنون . واذا نظرنا الى الواقع ، ادركنا ان اكثر حوادث الجنون في النساء هو بين اللواتي كنّ ضحية الجوع الجنسي من العوانس والارامل الفتيات . ان امرأة هذا شأنها تُرى دائماً مهمومة ، غيورة ، سريعة التأثر والغضب ، تشكو الارق ، تهتاج لسبب او لغير سبب ، تنتابها نوبات عصبية وعقلية قد تؤدي بها في بعض الاحيان الى الانتحار . واذا رجع القارىء في مخيلته الى من عرف من النساء المصابات بهذه الاعراض ، تحقق صدق قولنا هذا .

هل يعالج الاطباء المينوبوز ؟ نعم . ولا

لا ، اذا كانت المينوبوز عديمة الاثر في صحة المرأة وفي عقلها ونفسيتها .

ونعم ، متى كانت هذه مرضاً في نتائجها واشتراكاتها .

اما علاج المينوبوز ، فمنه ما كان طبياً ، ومنه ما كان نفسانياً واجتماعياً . والعلاج الطبي هو في اعطاء المرأة من العقاقير ما قد يعوض عليها خسارة الافرازات الهورمونية وما يتسبب عنها من خلل واعراض قد تلازمها مدات مختلفة الى ان يعتاد الجسم على الاستغناء عنها . وفي خلال هذه الفترة يجب ان تعطى هذه المواد بكميات غير قليلة وبطرق تختلف حسب رأي الطبيب المعالج .

اما العلاج الاجتماعي والنفساني ، فيجب ان يلجأ اليه قبل ان تقع الاعراض المرَضيّة ، فهو علاج وقاية اكثر منه علاج شفاء . وهو ان يسعى المجتمع بطرقه المتعددة الى تقليل عدد العوانس . هو ان يعرف ان للمرأة قوى طبيعية من غير الجائز ان تكبح قسراً وعنفاً . هو ان يسهل امر زواجها وان لا تحرم المعيشة الجنسية كل حياتها . ان المجتمع اذا لم يساوِ الجنسين في الحقوق الطبيعية فهو مجتمع قاسٍ مغرض ، وهو مسؤول عن غالبية الامراض التي تصيب النساء ولا سيما العوانس منهن . ان العلاج الطبي اذا افاد الاعراض السريرية ، كالهبّات الحارة ، وارتفاع الضغط ، والخفقان ، والصداع ، فهو لا يفيد مطلقاً الاختلالات

العقلية . فهل لا تستحق حياة الفتاة والعانس قليـــلاً من تفكـير المجتمع ، وشيئاً من الحرية لها ؟ لقد انتبه الغرب الى هذا الداء ، واخذ يعمـل على اصلاحه بشتى الطرق . فهل يرجع الشرق عن رجعيته بتقييد المرأة وتحريمه عليهـــا ما يحلله للرجل ؟ انه اذا فعـــل انصف المرأة ، وانصاف المرأة من اكبر العوامل لتقدم المجتمع . انه موضوع جدير بالدرس بحيث لا يكون هناك تطرف ولا طفرة ، بل عدل واعتـدال ومساواة .

ويجدر بي ان الفت نظر السيدات الى امرٍ عـلى قسط كبير من الاهمية ، وهو ان مرحلة الذبول هذه اذا وضعت حـداً لحيوية الجهاز التناسلي من حيث الحبـل والولادة ومقتضيات الحياة الزوجية ، غير انها لا تجيز للمرأة الانصراف عن الاهتمام بالجهاز المذكور ، لما قد يجرّه ذلك من اخطار عليه وعليها . فاخبث الامراض واشدّها خطراً ، اعني بـه السرطان ، يختار ضحاياه من النساء اللواتي اجتزن سن الخمسين . ومع ان هذا العدو الخبيث لا يتورع احياناً عن الفتك بالشابات وفي اثناء النشاط الجنسي غير انه اكثر غزواً لهن في مرحلة الذبول . فيجب اذاً على المرأة بعد ان تجتاز عهد شبابها ان تعتني بكهولتهـا وشيخوختها درءاً لمـا

يهددها من الاخطار في كلا العهدين .

ومن سفاسف الشرق ان المرأة الكهلة بعد اجتيازها مرحلة الحياة الجنسية وتوقفها عن الحبل والولادة يجب ان تصرف نظرها عن كل ما له علاقة بجهازها التناسلي . عقيدة سخيفة ، ابوها الجهل ، وامها عادات وتقاليد يعيّرون بها الكهلة اذا اهتمت بما لم يعد منه نفع في زعمهم .

والسرطان اكثر ما يصيب النساء في ارحامهنّ . والاحصاءات السرطانية تثبت ان معظم اصاباته تقع في اللواتي اهملن العناية باعضائهن التناسلية في مرحلة اليأس وبعدها .

وليس السرطان بالعلة الوحيدة التي تنتاب الاعضاء التناسلية في هذه المرحلة ، بل ان هناك علّلاً اخرى كثيرة قد تصيب المرأة وتتركها فريسة للاوجاع والاخطار . ولذلك يحسن بها ان لا تتوانى عن عرض نفسها على الطبيب من وقت الى آخر ، لا سيما اذا شعرت باي خللٍ او عرضٍ غير طبيعي . ولتنوير اذهان السيدات ، ادلّهن على ظاهرة هي بمثابة انذارٍ قد لا يخطىء إلا نادراً . وهذه الظاهرة هي حصول نزف رحمي بعد انقطاع الحيض بسبب «المينوبوز» . ولا عبرة في كون النزف قوياً او خفيفاً . فظهور الدم من المهبل او وجود تقرح رحمي عنقي ، مهما كان ، كافٍ

لكي يسترعي انتباه المرأة وطبيبها للتحوط لأي خطر ممكن الوقوع .

اني استطيع التأكيد لسيداتي انهن اذا وجهن شيئاً من الانتباه والعناية باعضائهن الجنسية ، وكشفن عليها على يد اطبائهن ، ولو مرة في السنة ، وعالجن الحالات البسيطة قبل استفحالها ، لنقص عدد الاصابات بالسرطان الرحمي الى اقل من نصفه . فخلاصك بيدك يا امرأة .

ولكن هل نقف عند حد الندب والنعي في حديثنا عن « المينوبوز » ؟ كلاّ . فاذا كانت هذه الظاهرة بدء مرحلة الذبول في حياة المرأة ، فهي من الاحداث التي قد تهيء فيها ميلاً للعمل في حقل الفكر والادب والاجتماع .

ان المرأة في اثناء حياتها التناسلية تنهمك في نفسها وفي تطلبات طبيعتها الجنسية . ثم هي اذا ولدت انشغلت عن جميع نواحي الحياة بتربية بنيها والاعتناء بصحتهم وتثقيفهم . ومع ان هذه المشاغل تبقى مسترعية اهتمامها بعد ان تقطع مرحلة الشباب ، غير انها في مرحلتها الجديدة تتخلص من القسم الاوفر منها . فالاولاد بلغوا سناً يستطيعون معها توفير التبعات عن الأم الى حدٍّ ما ، فيصبح في وسعها الخروج عن نطاق البيت الى افق اوسع ، لا سيما اذا كان

لها من المواهب العقلية والروحية ما يؤهلها للعمل في ميادين الادب والفكر والسياسة والاجتماع . فاكثر النساء اللواتي برزن في هذه المضامير كن في سن الكهولة . وليست قليلات اللواتي دخلن المجالس ، وتسلّمن قيادة الاعمال الكبرى ، ونشرن المؤلفات المفيدة ، وساعدن في اكتشافات علمية واختراعات فنّية عادت على العلم بأعظم النتائج . ولا حاجة بي الى تعداد اولئك النساء ، فليرجع القارىء لذاكرته ومطالعاته ، فيقع على مئات الشواهد وآلافها . ان المرأة بعد اجتيازها عتبة « المينوبوز » تستطيع ان تقوم باعمال كفيلة بان تجعل من مرحلتها الجديدة دوراً مثمراً كما كانت مرحلتها التناسلية دوراً مثمراً في حفظ النسل وسلامة الذرية.

إذاً لتسلُ سيدتي عن قطعها سن الشباب ، فللكهولة ميزاتها وفضائلها . تباركت المرأة التي تعمل في المرحلتين ما يكسبها فخراً ويوليها كرامة وفضلاً .